﴿في الكلام على امبراطورات القسطنطينية ودولة اليونان السفلى﴾

حكمت هذه الدولة بعد انقسام المملكة الرومانية سنة ٣٩٥ م وانقرضت بظهور السلطان محمد خان الثاني من آل عثمان سنة ١٤٥٣ م ولنذكر أشهر امبراطوراتها فنقول

﴿ذكر الامبراطور ارقاديوس﴾

وهو أول ملوك هذه الدولة وكانت مملكة الروم في عهده ضعيفة لانه كان قاصرا وكان الحل والعقد في يد وزيره رومين وفي مدته صدرت أوامر لجميع الولايات الرومانية باتباع الديانة العيسوية وأمر بغلق الهياكل والمعابد ولا سيما هياكل مصر ومات بعد ان حكم ١٣ سنة وذلك سنة ٤٠٨ م

﴿جوستسيانوس الثاني﴾

وكان أول أمره حميد السيرة موصوفا بالعدل ثم ظلم وجار على الرعية وانكب على الملاهي وترك الحكم لامرأته (صوفية) التي أحبت شابا يسمى طيباريوس متصفا بالذكاء والآراء السديدة فكانت تستشيره في جميع أمورها فمات زوجها بان يوصي له بالقيصرية قاصدة بذلك ان يتزوج بها وأرسل اليه ملك التتار الهبارة سفير العقد معاهدة فرفض (جوستسيانوس) هذا الطلب وأظهر التعاظم والكبرياء ثم اتفق بعد ذلك مع ملك التركمان وتحالف معه على حرب (كسرى أنوشروان) ملك الفرس بسبب منازعتهما على بلاد أرمينيا فقامت الحروب بين (جوستسيانوس) وأنوشروان واستمر القتال بين الدولتين الى موت الملكين فانقطعت الحروب بموتهما بعد ان حكم ١٣ سنة وقام بالامر بعده طيباريوس الثاني

﴿طيباريوس الثاني﴾

عند جلوسه على كرسي المملكة تحارب مع (هرمز بن أنوشروان) وكان أرسل لقتاله قائدا من قواده يدعى (موريس) مع ثمانين ألف فارس فحارب

فحارب العجم وانتصر عليهم أكثر من ثلاث مرات فكافأ الملك هذا القائد وزوجه ابنته وتعهد بان يكون هو الملك بعده وعند موت هذا الملك المذكور تولى (موريس) على الملك

﴿موريس﴾

وفي أيامه حدثت فتنة في بلاد العجم جبرت (هرمز بن أنوشروان) ان يفر من بلاده الى (موريس) ليغيثه فقابله المذكور بالترحاب وأمده بجيوشه وأعاده ملكا على بلاد العجم تحت اسم خسرو برويز ثم حول جيوشه الى محاربة التتار المبارة الذين كانوا قد أتوا من آسيا الى بلاد المجر وسكنوا فيها فانتصر عليهم عدة نصرات عظيمة وكان ملك التتار أسر في هذه الواقعات عشرة آلاف فارس فطلب منه ملك التتار فداء كل واحد منهم دينارا فلم يقبل ثم طلب منه على كل رأس نصف دينار فأبى ان يعطيه شيأ فاغتاظ ملك التتار وذبح جميع اسراء الروم فلما اشتهر هذا الامر نفرت قلوب الرعية منه ورفعوا لواء العصيان عليه وولوا بدله رجلا من رعاع الجند يدعى (فوكاس) فبايعوه بالسلطنة سنة ٦٠٢ م وكان (موريس) وقتئذ بالقسطنطينية فلما بلغه الخبر فر هاربا مع عائلته فارسل (فوكاس) مجدا في طلبه فقبضوا عليه وامر بضرب أعناق أولاده ثم قتله

﴿فوكاس﴾

ولما حكم فوكاس أمر عماله الموجودين بمصر برفت جنس المصريين من الوظائف الميرية فحدث من ذلك اضطراب وفتنة في الاسكندرية وكان أكثر أهل هذه الفتنة طائفة اليهود فحكم عليهم هذا الملك بأن يتنصروا فاطاعوه

وأما خسرو الثاني ملك الفرس الذي هو ابرويز فعند سماعه بقتل موريس الذي أعاده الى ملك أبيه أظهر الحزن والاسف وانتهز الفرصة لفتح باب الحرب مع الروم متخذا ذلك حجة وسببا للانتقام من فوكاس

فاخذ جملة حصون وقلاع واتصلت اغاراته الى بلاد سوريا وكان فوكاس قد جرد له جيشا فانهزم هو وجيشه وتفرق شمله وكانت أمة الروم قد صممت على خلعه من أعماله القبيحة فكتبت الى هيراقليوس أو هرقل والى افريقا ان يحضر ليخلص القسطنطينية من يد فوكاس فسار هيراقليوس بجيش مهول الى القسطنطينية فقبض الشعب على فوكاس فامر بضرب عنقه وعنق اخوته وبايعوا هيراقليوس سنة ٦١٠ وعمره ٣٥ سنة

﴿هيرقل﴾

قد ذكرنا أن (ابرويز خسرو) ملك الفرس تغلب على أكثر ولايات الروم الشرقية في زمن فوكاس وقد استمر أيضا في افتتاح البلاد في زمن هيرقل حتى ان فتح انطاكية وبيت المقدس ثم اتصلت اغاراته الى الديار المصرية وبلاد المغرب وصالح المصريين واتفق معهم على أن يدفعوا له أموالا معلومة كما كانوا يدفعون الى قياصرة الروم ثم بعد ذلك قصد بلاد الاناضول فاستولى على بروسة الواقعة على بوغاز البوسفور واستعان هناك بقبائل التتار المجاورة وتعاهد معهم على أن يهجموا على بلاد الروملي فأغاروا على تلك الجهات ونهبوا المدن والقرى واستمروا على ذلك حتى دنوا من أسوار مدينة القسطنطينية فلما اشتد الحال على هيراقليوس وآيس من النصرة لقلة عدد جيوشه ولعدم وجود النقود الكافية لتعيين الجيوش صمم على أن يسافر الى تونس وينقل تخت المملكة هناك لانها كانت تابعة لدولته فصده عن ذلك بطريق القسطنطينية وفتح خزائن الكنيسة وأمده بما لزم من الاموال لتعيين الجنود فصالح التتار ورفع عنه أشغالهم بنظير مبلغ معلوم من المال ثم انه عين جيشا عرمرما وزحف بنفسه لقتال الفرس وعند وصوله الى مدينة ايسوس (حيث انتصر هناك الاسكندر على الفرس) وافته جنود الفرس فانتصر عليهم بعد قتال شديد ثم رجع الى القسطنطينية

ظافرا

ظافرا منصورا ولم تزل عساكر الفرس بعد هذه الهزيمة تشن الغارة وتلقى الفساد فى أطراف تلك البلاد فحاربهم هيراقليوس مرة ثانية لصدهم وردعهم وذلك لكونه عبر البحر الاسود وقطع جبال أرمينيا وكان قد اتحد مع التركمان على قتال الفرس فامدوه بجانب من الجيش ثم قصد بلاد العجم وعند وصوله الى نينوى حصل بينه وبينهم قتال مهول فانتصر أيضا عليهم واتفق بعد ذلك بأيام قليلة أن شيرويه قتل أباه المدعو ابرويز خسرو وجلس مكانه وعقد صلحا مع هيرقل بعد ان رد اليه جميع ولايات الروم الشرقية التى كان أخذها والده ورجع الى القسطنطينية فائزا بالنصر ثم ترك ادارة الحكم وانهمك فى مجادلات دينية من جهة لاهوت المسيح وقد أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فقام يسلم لولا امتناع البطارقة ولم يقع بينه وبين الرسول حروب لكن حاربه أبو بكر الصديق وأخذ منه دمشق واستولى على جانب عظيم من سوريا وكانت مدة حكمه ٣١ سنة وكان عامله على مصر المقوقس الذى حاربه عمرو ابن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب وهزمه شر هزيمة وأخذ مصر منه واستمرت القيصرة وحدها بعد واحد الى ان جاءت ولاية تيوفيل الذى حاربه المأمون كما سيأتى ثم ميخائيل الثالث وهو آخر ملك من ذرية هيرقل وحكم سنة ٨٤٢ م

واستمر حكمه الى ان قتله رجل يدعى باسيل واغتصب الحكم منه سنة ٨٦٧ م وفى مدة حكمه لم تنقطع الحروب بينه وبين المسلمين فى خلافة المتوكل على الله

﴿ذكر الامبراطور باسيل﴾

وقام بالولاية سنة ٨٦٧ وهو أول امبراطورات الدولة المقدونية أصله من عائلة فقيرة كان سائسا عند سلفه ميخائيل الثالث وكان ماهرا جدا فى تربية الخيول فاحبه ميخائيل لما ساعده على توليته كرسى المملكة بقتل الامبراطور برداس وأشركه معه فى الاحكام ولذا كان

هـذا الامبراطور موصوفا بالفراسـة والذكاء ومحبا لانتشار المعارف لم يتحـمل أطوار ميخائيـل الفظة وقساوته الشنيعة فعـمل على قتـله واستبد بالاحكام سـنة ٨٨٦ م وأعاد للسلطنة جانبا من عزها وشرفها الاولين وأصلح شرائع البلاد وتحصينها وتقويتها بحيث تستطيع أن تفتح حروبا وتقاوم هجوم العرب وقبائل أوروبا وله هـذا الامبراطور تأليف يعرف بفن الاحكام كتبه لابنه (ليون) وطبع فى باريس سـنة ١٥٨٤ وترجم الى اللغـة الفرنساوية سـنة ١٥٩٠ وله أيضـا مجموع للشرائع فى سـتين مجلدا تعرف بالباسـيلية ابتـدأ فيها باسـيل وأتمها ابنـه وهى مطبوعة أيضا

ومن أشهر سـلاطينها وأعظمـهم نيفوروس فوكاس (غـير الذى حاربه الرشـيد بعـا أن نيفوروس الذى حاربه الرشـيد كان من عائلة هـيرقل) ويوحنا زميسيس فكانت البـلاد فى أيامهـما نامية زاهية وكان يوحنا زميسيس قد حارب المسكوف عنـد اغارتهم على القسطنطينيـة فانتصر عليهـم وقهرهم ثم زحف الى بلاد الشام المعروفة باسم سوريا واستخلص جـملة مدن من أيدى المسلمين وعـبر نهر الفرات وفتح مدنا حصينة فى تلك الجهات ولما مات هذا الملك أخلفه ملوك غـير مشهورين فلهذا الداعى ضربنا صفحا وصرفنا النظر عن ذكرهم وكان آخرهم ميخائيل السادس الذى فى مـدته اضمحلت دولة الروم ووقعت فى أيامـه الدولة فى حالة السقوط والضعف

ولما رأى الروم ضعف ملوكهم وسقوط دولتهم بايعوا اسحق كومنينوس بالسلطنة سـنة ١٠٥٦ م وكان المذكور من عائلة معتبرة من أعيان الرومانيين فاستبد بالاحكام سنتين ثم تنازل عن الحكم لداعى مرض أصابه ومن خلفائه كومنيوس اليكسيوس الذى جلس على سرير الملك سـنة ١٠٨١ وفى أيامه وقعت دولة الروم فى حروب عظيمـة مع الترك وحاربه روبرت غسكار ملك النورمنديين فغلبـه وانهزمت الروم شر هزيمـة

واشتهر

واشتهر اليكسيوس هذا فى التاريخ بخيانته للصليبيين ومقاومته لهم سرا فكان يدعوهم فى مبدأ الامر من أوروبا ويعدهم بالمساعدة على أعدائهم ليضعف بواسطتهم قوة الاتراك السلجوقيين الذين كانوا يهددونه بالحروب ثم عند انتصاراتهم يعمل على ضررهم وكان جل قصده بهذه التدابير السياسية تهييج ممالك أوروبا وتشغيل أفكارهم بتجهيز الرجال وجمع الاموال لمحاربة سوريا وفلسطين لكى يقى سلطنته من محاربة طوائف الفرنج التى كانت طالما تشتاق لمحاربة تلك البلاد لتفتحها طمعا لاكتساب غناها وقد نال مرامه فى ذلك لانه بسبب حروب الاتراك مع الصليبيين انتهز الفرصة واستخلص عدة مدن وجزائر كانت فتحها المسلمون واستولوا عليها حالة كون هذه البلاد فى يده وبقيت البلاد بعده فى أمن وسلم مدة طويلة من الزمان ومات سنة ١١٩٥

وفى سنة ١٣٥٥ تولى الملك يوحنا باليولوغوس وكانت مدة حكمه نحو ٣٦ سنة وكان ملكا ظالما قاسيا قبيح السيرة ومن ضمن قبائحه انه جعل أخاه الاكبر المسمى اندرونيكوس مفقود العينين وحفيده يوحنا وسجنهما فهاج الشعب من هذا العمل الشنيع واجتمع أعيانهم وأخرجوا الاعميين من السجن وأعادوهما عما عنه الى كرسى المملكة فالتزم باليولوغوس ان يهرب مع ابنه مانويل وبسبب ذلك وقعت تحزبات وانقسامات بين الاهالى ألجأتهم الى انتهار السلاح بعضهم على البعض الآخر وأخيرا اتفقوا على تقسيم السلطنة الى قسمين أحدهما لباليولوغوس وهى مدينة القسطنطينية والثانى الى الاميرين الاعميين وهو ما بقى من المملكة وفى سنة ١٣٦٥ أغار على القسطنطينية السلطان بايزيد من آل عثمان وتهدد ملكها بالخراب فضرب عليها الخراج ثم هجم عليها ثانيا سنة ١٣٩٩ تحت حجة الاخذ بثار يوحنا الاعمى وحاصرها فهرب مانويل الى فرنسا يطلب المدد فلم يجده أحد واتفق ظهور تيمورلنك واغارته على البلاد العثمانية فاضطر السلطان

بايزيد ان يرحل عن القسطنطينية خوفا من سطوة تيمورلنك فهزم بايزيد وقتل فى واقعة بالقرب من مدينة انقره واستمرت القسطنطينية فى أيدى أهلها الى عهد السلطان محمد الثانى وكان من الشجعان الموصوفين بالفراسة حيث جهز جيشا لفتح القسطنطينية وكان ملكها فى هذا الوقت قسطنطين الثالث عشر الذى هو آخر ملوكها فحاصرها محمد خان براو بحرا الى أن افتتحها سنة ١٤٥٣ وصارت كرسى مملكة الدولة العثمانية

الباب التاسع

﴿فى تاريخ العرب﴾

اعلم ان العرب يسمون بلادهم جزيرة العرب وهى فى الحقيقة بحيث جزيرة ويحدها من الشمال فلسطين وبعض سوريا والجزيرة ومن الشرق الجزيرة أيضا والعراق العربى والخليج الفارسى وجزء من بحر الهند ومن الجنوب بحر الهند أيضا ومن الغرب بوغاز باب المندب والبحر الاحمر المعروف بخليج العرب وبوغاز السويس

وتنقسم بلاد العرب الى خمسة أقسام وهى اليمن والحجاز ونجد واليمامة وأرض البحرين وهى معدودة عندأكثرهم من العراق وهى فى الحقيقة فى بلاد العرب الا انها متصلة بالعراق

﴿الفصل الاول﴾

﴿أمة العرب قبل الاسلام﴾

اعلم ان العرب ينسبون أنفسهم الى ذرية ابراهيم الخليل عليه السلام فكان قحطان واسمعيل أصلين للنسلين العظيمين اللذين عمرا بحيث جزيرة العرب الاول فى جنوبها والثانى فى شمالها ويقال لهذين النسلين العرب المستعربة والعرب المتعربة لتمييزهما عن عرب العربا الذين يقال انهم من نسل قوم عاد وثمود

فاما